لقد اهتمت وسائل الاعلام في بلداننا بمؤتمر الحياد او عدم الانحياز ، كما سموه تجاوزا على الحقيقة وتعظيما لها . ومعلوم ان هذه الوسائل في غالبيتها العظمى ،

سواء كانت اذاعات حكومية او صحف رسمية او خاصة ، هي وسائل تخضع لتوجيه القوى المسيطرة والرجعية ، وهي قوى لها مصلحة في اخفاء حقيقة المؤتمر واثارة الجانب الايجابي فيه وهو جانب ضئيل جدا اذا ما قيس بالجوانب السلبية الاخرى .

وفي خضم هذا السيل الاعلامي المتعاظم تعاظم كثافة الضباب الخداع الذي احيط به المؤتمر ، فقد انحرف البعض من مجلاتنا التقدمية مع التيار الاعلامي ، انجرافا ساعد عليه القرار الذي اتخذته جمهورية كوبا الاشتراكية والذي يقضي بقطع علاقاتها مع اسرائيل .

وامام هذا الوضع فقد اصبح من الضروري ان نوضح حقيقة هذا المؤتمر وحركة الحياد التي تقف وراءه ، امام قراء « الهدف » لكي لا نقعوا في فخ التضليل الاعلامي الذي انجرفت فيه صحفنا التقدمية والذي يعتبر قرارات لقاء باندونغ هي القرارات المطلوبة « خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة » ! ثم اذا كانت « الحملة المركزية والشعار المركزي » اللذان ينبغي ان يتمحور حولهما كل قرارات ومواقف مؤتمر دول عدم الانحياز ، هو التأييد المطلق واللامحدود للحركات التحررية والثورية في العالم ، والدعم المطلق واللامحدود ايضا لجميع النضالات الثورية التي تخوضها شعوب العالم ، ومن ضمنها شعبنا الفلسطيني وثورته المسلحة » !

بقلم : ابو عدنان

اذا كانت هذه مهمة المؤتمر المركزية ، واذا كان هذا هو شعاره المركزي . فهل باستطاعته ان يكون بمستواها ؟ وهل ان من يحسب نفسه يعبر عن وعي لحقيقة الصراع الطبقي الدائر في عالمنا اليوم وخاصة في بلدان ما يسمى اعتباطا بالعالم الثالث او عالم الحياد (!) ثم هل ان الذي يجيب نعم على هذا السؤال يفهم معنى طبيعة العصر وانعكاساتها على الثورة الوطنية الديمقراطية في هذه البلدان ، وشروط نجاح هذه الثورة ومستلزمات اطراد سيرها نحو نهايتها الحاسمة ، هذه الشروط والمستلزمات التي تجمت عن طبيعة العصر؟ ان الخلط الذي وقعت فيه صحفنا التقدمية قد يدل ولا شك افكار بعض قرائها وتعطي صورة غير حقيقية عن المؤتمر وعن حركة الحياد للبعض الاخر . وفي كلتا الحالتين وقعت هذه الصحف في فخ الاعلام المضاد لتوجهها والتزاماتها !

ولكي نحدد من وجهة نظره « الناطر » هذه ، علينا ان يوضح الصورة الحقيقية لمؤتمر الجزائر والحركة التي تقف وراءه . ولكي نعرف حقيقة لا بد ان نعرف الغايات والاهداف التي سعى المؤتمر للوصول اليها . فما هي حركة الحياد وما هي اهدافها ؟ وما هي الغايات التي يمكن ان يبلغها مؤتمر الجزائر ؟

لنس بوسعنا ان نعرف طبيعة مؤتمر الجزائر والاهداف التي سعى القوى المسيطرة عليه الوصول اليها ، ما لم نعرف طبيعة حركة الحياد الطبقية والظروف الموضوعية والشروط الذاتية التي ادت الى ايجادها لتلعب مثل هذا الدور الذي تزداد سلبيته كلما ازداد زحف البرجوازية الصغيرة وتكرس عجزها عن مواصلة السير بالثورة الى نهايتها الحاسمة التي سمح لها بالتحول الى ثورة اشتراكية . ولكي نعرف طبيعة حركة الحياد الطبقية والظروف الموضوعية التي ادت الى ايجادها ، علينا ان نعود الى عام ١٩٥٥ ، وعلى وجه التحديد الى شهر نيسان من ذلك العام ، لنشهد انعقاد اول لقاء دولي لبلدان حركة الحياد في باندونغ . وكان الملح قادته نهرو وسوكارنو وشواين لاي وتيتو . وقد رسم لقاء باندونغ نهج حركة الحياد وعدم الانحياز الوسطية التي تعتبر البلدان المتخلفة تكون معسكرا ثالثا بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي . اي ان تكون حكومات هذه البلدان ضد حركة الطبقة البرجوازية الامبريالية وضد حركة الطبقة العاملة التي في آن سوية وان تهتم ببناء بلدانها وتعمل على حل المنازعات وسويتها بالوسائل السلمية كالمفاوضات والوفاق والتحكيم والاحكام للمحاكم الدولية وكل وسيلة سلمية تحارها البلدان المسلمة وفقا لميثاق الامم المتحدة.

ومنذ لقاء باندونغ وانطلاق الحياد يبذلون جهودا متواصلة من اجل الحفاظ على حركتهم ولذلك عقد عبدالناصر وتيتو ونهرو عام ١٩٥٦ اجتماعا في بريوني اكدوا فيه من جديد مبادىء باندونغ العشرة واوصوا بضرورة عقد مؤتمر للدول غير منحازة . فانعقد في عام ١٩٦١ المؤتمر الاول في بلغراد وانعقد المؤتمر الثاني عام ١٩٦٤ في القاهرة وفي عام ١٩٧٠ انعقد المؤتمر الثالث في لوساكا عاصمة زامبيا . وانعقد في العام الحالي المؤتمر الرابع لانطلاق السياسة الوسطية تحت شعارات مضللة تحملها حركة الحياد لتعبر عن نهج الاجنحة اليمينية في حركة البرجوازية الصغيرة التي صعدت الى مسرح الاحداث باعتبارها طبقة قائدة في ظروف الحرب العالمية الثانية وبعدها . فكيف سنتي لهذه الطبقة ان تلعب مثل هذا الدور ؟

لنرجع الى ابعد من عام انعقاد لقاء باندونغ ، الى ١٩١٩ عام انعقاد المؤتمر الاول للاممية الشيوعية (الكومنترن) ففي هذا العام بلور الاتجاه الذي مثله لينين في صراعه مع انطلاق الاممية الثانية بمفاهيم جديدة اساسها النظرية اللينينية القائلة بامكان تحول الثورة الوطنية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، وربط حركات التحرر الوطني بحركة الطبقة العاملة العالمية ربطا يجعل من قوى العمال والفلاحين في الريف والبرجوازية الصغيرة في المدن ، قوى اساسية لاحداث الثورة الوطنية الديمقراطية وقيادتها في طريق تحولها الى ثورة اشتراكية .

وقد كانت توجيهات لينين واضحة بصدد هذه القضية . ففي تقريره الى المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق لعامه روسيا الذي انعقد في تشرين الثاني عام ١٩١٩ ، خاطب المؤتمرين بقوله :

« اسم يمثلون منظمات شيوعية واحزابا شيوعية تنتسب لمختلف شعوب الشرق . وينبغي لي ان اقول انه اذا سير للبلاشفة الروس احداث صدع في الامبريالية القديمة ، اذا يسر لهم القيام بمهمة في منتهى العسر وان نكن في منتهى النبل هي مهمة احداث **طرق جديدة في الثورة** . ففي اضطراركم اسم ممثلي جماهير الكادحين في الشرق مهمة اعظم واكثر جدة . اذ يتضح كل الوضوح ان الثورة الاشتراكية التي تقدم في جميع رقاع العالم لن تكون قط مجرد انتصار للبروليتاريا في اي بلد من البلدان على برجوازيتها . فلو كانت الثورات تجري بسهولة وسرعة لكان ذلك من الامور الممكنة . ونحن نعلم ان الامبرياليين لن يسمحوا بذلك ، وان جميع البلدان مسلحة ضد بلشفيتها الداخلية وان تفكيرها يتجه كله الى الانتصار على البلشفية في ديارها . ولذلك ينبغي في كل بلد من البلدان الاولى على شعوب المستعمرات والتابعة بقوله :

« لقد ايقظ الحرب الامبريالية الشرق ايضا ، وجذبت شعوبه الى لجة السياسة الدولية . لقد سلحت انكلترا وفرنسا الشعوب المستعمرة وفسحتا لها مجال الاطلاع على العتاد الحربي والماكنات الحديثة . وستضعف هذه الشعوب معرفتها هذه في النضال ضد السادة الامبرياليين . وفي اثر مرحلة اسبقاط الشرق سنحل في الثورة المقاصرة مرحلة اشتراك جميع شعوب الشرق في تقرير مصائر العالم كله ، لكيلا تكون مجرد وسيلة للازراء . ان شعوب الشرق تستيقظ لكيما تعمل حقا وفعلا ولكيما تسهم كل شعب في تقرير مصير البشرية باسرها .

ولهذا اعتقد انه سيترتب عليكم في تاريخ تطور الثورة العالمية التي ستسهم سنوات عديدة وتتطلب جهودا كبيرة اذا حكمنا على اساس البداية ، سيترتب عليكم ان تلعبوا في النضال الثوري وفي الحركة الثورية **دورا كبيرا** ، وان تندمجوا في نضالنا ضد الامبريالية العالمية . ان اشتراككم في الثورة العالمية سيضعكم امام مهمة عسيرة ومعقدة تكون النجاح في تحقيقها اساسا للنجاح العام » .

وتحدد لنين مهمة الشيوعيين في حركة شعوب المستعمرات والتابعة بقوله : « وفي هذا الحقل تواجهكم مهمة لم تواجه الشيوعيين في العالم كله من قبل : ينبغي عليكم ان تستندوا في المبادىء النظرية والعملية على العالمية **الشيوعية العامة** وان تأخذوا بعين الاعتبار الظروف الخاصة غير الموجودة في البلدان الاوروبية كي تصبح تاكتيكم طبق هذه العالمية في المبادىء النظرية والعملية في ظروف تؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسي وتطرح فيها مهمة النضال لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا القرون الوسطى . وهذه مهمة عسيرة ذات طابع خاص ، غير انها مهمة تعطي اطيب الثمرات ، اذ يجذب الى النضال تلك الجماهير التي لم يسبق لها ان اشتركت في النضال ، وسع لكم من الجهة الاخرى الارتباط ، اوثق ارتباط بالامة التالية بفضل تنظيم الخلايا الشيوعية في الشرق ، **ينبغي لكم ان** توجدوا اشكالا خاصة لهذا التحالف بين البروليتاريين الطليعيين في العالم كله وجماهير الكادحين والمستغلين في الشرق الذين غالبا ما يعيشون في ظروف القرون الوسطى لقد حققنا في بلادنا على نطاق صغير ما ستحققونه انتم في بلدان كثيرة وعلى نطاق كبير » .

وانطلاقا من هذه العالمية الواضحة قررت الاممية الثالثة ان تقوم بانشاء منظمات شيوعية في المستعمرات والتابعات بغض النظر عن مستوى تطور مجتمعاتها فلنين قد اكد على ضرورة « ان تدرك كل الادراك انه لا يمكن للطليعة وحدها ان تحقق الانتقال الى الشيوعية . المهمة هي ان يوقظ في جماهير الكادحين النشاط الثوري الذي تحركها للعمل والتنظيم بصرف النظر عن مستوى هذه الجماهير ، وان ينتقل الى لغة كل شعب **العالمية الشيوعية الحقيقية المعدة للشيوعيين في البلدان الارقى** ، وان تحقق المهام العملية التي تتطلب التحقيق دون ابطاء وان **تندمج في النضال العام مع بروليتاريا البلدان الاخرى** » .

« وينبغي لكم في الوقت نفسه ان تسيروا طريقكم الى جماهير الكادحين والمستغلين في كل بلد من البلدان وان تعلموا لها باللغة التي يفهمها انه لا سبيل الى **الخلاص غير سبيل انتصار الثورة** العالمية ، وان البروليتاريا العالمية هي الحليف الوحيد لجميع الكادحين ولمئات الملايين من المستغلين من شعوب الشرق »

هذه هي القضية التي طرحها لينين على الشيوعيين والتي حظيت بالقسط الاكبر من اهتمام الاممية الشيوعية ، والتي هي قضية ذات سمو خارق على حد تعبير لينين الذي اكد جازما على انه « لا بد للجهود المشتركة التي يبذلها منظمات الشرق الشيوعية ان تكلل – اي القضية – بنجاح تفصل عصر الثورة وتعاظم الحركة الثورية – وهو امر لا يتفق الشك – وان تسير بها حتى الانتصار التام على الامبريالية العالمية » .

مما تقدم يتضح ان انشاء المنظمات الشيوعية في المستعمرات والتابعات كان الغرض منه هو الارتقاء بوعي جماهير هذه البلدان والنهوض بحركتها المناهضة للمستعمرين الذين عليهم كيفية استخدام السلاح ، وان جهود الكومنترن قد حققت نجاحات ملموسة وادت الى انشاء الاحزاب الشيوعية في القسم الاعظم من بلدان العالم . ولعل الجبهات الوطنية والشعبية التي نظمها الشيوعيون وقادوها منذ اواسط الثلاثينات والتي لعبت دورا بارزا في مناهضة النازية والفاشية والتي حشدت جماهير الكادحين في النضال حشدا كان عاملا اساسيا في هزيمة النازية في الحرب العالمية الثانية وفي انتصار الثورات الاشتراكية وقيام المعسكر الاشتراكي .

هكذا اصبحت ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى ، التي كان قيامها عاملا من عوامل ايتاق الديمقراطية الجديدة ، قائدة للاتجاه الثوري المناهض للامبريالية والرجعية . ولم تمض سوى سنوات قليلة على حدث قيام الاممية الثالثة (الشيوعية) حتى تجسد اتجاهها في ثورات ديمقراطية شعبية في الصين وفي كوريا وانتفاضات شعبية في الهند الصينية وفي العديد من مناطق العالم ، تجسيدا لعب دورا هاما في تلوين نهج شعوب المستعمرات ونهضة حركتها التحررية الديمقراطية الوطنية . وفي الوقت الذي كانت فيه ثورة اوكتوبر مركزا للثورة العالمية ، كانت البلدان الامبريالية تعمل بكل طاقاتها للقضاء على اول ثورة للعمال والفلاحين ، بعد ان تطور الاحداث وظهور المانيا الهتلرية على مسرح الصراع الدولي وتسبب الحرب العالمية الثانية ، جعل انكلترا التي كانت تقود المعسكر الامبريالي انذاك ، تضطر لان توجه الى الاتحاد السوفياتي طالبة منه التدخل لحماية البشرية من سيطرة النازية والفاشية ، وقد اعلن سترشل حين ذهابه الى موسكو بانه سيضع يده بيد الشيطان من اجل القضاء على هتلر . فكان تدخل الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية ليس اهم عامل من عوامل دحر النازية والفاشية وانما نتج عنه قيام البلدان الاشتراكية وانتصار ثورة الصين وكوريا وقيام المعسكر الاشتراكي مقابل المعسكر الامبريالي .

مما تقدم يتضح ان الثورة الاشتراكية الاولى التي كان الامبرياليون يحلمون بالقضاء عليها لم تصمد في وجه محاولاتهم الخرسة فقط وانما استطاعت ان تعود انحاءها ثورتا ديمقراطية في المستعمرات واشباه المستعمرات وان تخرج من الحرب العالمية الثانية منتصرة تسيطر الاشتراكية على سدس مساحة الكرة الارضية وعلى ثلث سكان هذه الكرة . بينما خرجت البلدان الرأسمالية الامبريالية منهوكة القوى مثقلة بالوعود الخداعة لشعوب المستعمرات وتسقط شعوبها وتهوض حركتها من اجل التحرر والتقدم وفي الوقت ذاته برز قبه الاتحاد السوفياتي باعتباره دولة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية بينما تراجعت انكلترا وفرنسا لتصبحا من بلدان الدرجة الثانية وفي وقت برزت فيه دولة الصين وكوريا والمانيا الديمقراطية الى الوجود باعتبارها دولا اشتراكية . اصبحت فيه المانيا والمانيا الغربية بلدين خاضعين للسيطرة الاجنبية .

وامام هذا الوضع اسست حركات التحرر وبرزت البرجوازية الصغيرة باعتبارها قوة ثورية من قوى الثورة الوطنية الديمقراطية ، بروزا جعلها تخوض صراعا من اجل فرض اتجاهها الوسطي الانتهازي على حركات التحرر الوطني الديمقراطية في القارات الثلاث . وقد وجدت الامبريالية في هذا الاتجاه الوسطي الانتهازي الذي سعى لها ان تحدث الثورة الوطنية الديمقراطية وتوقفها ، قد حققت منجزات هامة ، على طريق هذه الثورة ، غير ان هذه الانجازات لا تعود تحقيقها لحركة الحياد ، وانما ترجع الى الدور الذي لعبته الاممية الشيوعية في تنظيم الجماهير ومنها جماهير البرجوازية الصغيرة نفسها ووعيها والى دور الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية التي شهدت القضاء على انه كان من اهم عوامل دحر المانيا الهتلرية والمانيا في الحرب العالمية الثانية مما ادى الى نهوض حركات التحرر واتساع الثورات الاشتراكية وانتصارها مقابل ضعف الامبريالية ، وبذلك سنى للبرجوازية الصغيرة ان تقفز الى كرسي السلطة ، لنس بوصفها قائدة لحركة مجاهدة وانما بوصفها احدى طبقات الثورة التي تحدث عنها لنين . اما حركة الحياد فهي الانحراف عن نهج الثورة ورفض السير بها الى نهايتها التي تتمثل بها الى الاشتراكية اي ان حركة الحياد تمثل النهج البرجوازي الرافض للاشتراكية العلمية والذي تقود دعاته في نهاية المطاف الى الالتقاء مع الرجعيين والامبرياليين . اما مشاركة الاشتراكيين العلميين في مؤتمرات الحياد ، فلا تغير من طبيعة ومضمون هذه الحركة .

وبعد كل هذا فهل هناك شيء اسمه الحياد ؟ وهل ان الموقف الوسطي الانتهازي هو موقف محايد بالفعل ام انه في مضمونه وجوهره رفض للاشتراكية العلمية ومناهضة للشيوعية وانحياز للرجعية والامبريالية ؟

هل في هذا الكلام ظلم لانطال الحياد السيء الحظ ، ام انه الحقيقة بعينها ؟

اننا لا نستطيع بطبيعة الحال ان ناخذ ما يقوله الاخوان والحكام عن احزابهم وانظمتهم . فكميل شمعون وكامل الاسعد مثلا يقولون انهم اشتراكيون وان احزابهم اشتراكية وابو رقيبة والسادات والقذافي واديرا غاندي ايضا يقولون انهم اشتراكيون ولا يحدون حرجا حين يسمحوا لانفسهم بالوقوف الى جانب كاسترو سل ان القذافي وجد نفسه اكثر وطنية واكثر اشتراكية من كاسترو ولذلك اختاره ليخوض صراعا معه من بين اكثر من ٨٠٠ مندوب بينهم فيصل ملك السعودية والسقاف الذي سمح هو الاخر لنفسه لان يدعي الوطنية ادعاءا سمح له بان يعقد مهنئا كاسترو لقطعه العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل متجاوزا على حد تعبيره الخلافات الايديولوجية !

واذن ، فان الادعاء بالتزام الاشتراكية من قبل الحكام والاحزاب امر لا نستطيع ان نعتبره مقياسا للحكم على صحته . ان مقياسنا للحكم على اشتراكية هذا النظام او ذاك ، هذا الحزب او ذاك ، هو الاشتراكية العلمية التي تقتضي بالالتزام بمبدأ التضامن البروليتاري الاممي ، اي بالانحياز بتفرد بالسلطة وتضطهد حلفائها وتنعزل حتى عن قاعدتها الكادحة ، انعزالا فصل الفئات الحاكمة عن جماهير الفلاحين في الريف والبرجوازية الكادحة في المدن ودفعها للاندماج مع بقايا الطبقات الرجعية والارباح باحضان الامبريالية وان كانت اشكال هذا الاندماج والارباح تتفاوت من بلد الى اخر ، مما عرقل مسيرة الثورة وعطل اطرادها .

ما هو الحياد ؟ وهل هناك شيء يمكن ان يطلق عليه هذا المصطلح ؟

لقد بينا ماهية حركة الحياد ولا يتوقع منا القارىء ان نعرف الحياد باكثر من انه اتجاه وسطي انتهازي يحاول ان يلعب على حبال الصراع الطبقي بين البروليتاريا العالمية وبين البرجوازية الامبريالية .

لا ريب في ان الفئات البرجوازية الصغيرة متسعا لتشجيعه وتأييد حركته ، في وقت وقفت فيه الاممية الثالثة موقفا سلبيا في بداية الامر ، مما اتاح فرصة لانطال الحياد من ان يتخذوا موقفا مناهضا للاتحاد السوفياتي ، الذي سارع الى اعادة النظر بموقفه وتجنب الانعزالية عن حركة الحياد التي يقودها البرجوازية الصغيرة !

وهكذا انعقد لقاء باندونغ في عام ١٩٥٥ ، ليعبر عن صعود البرجوازية الصغيرة واتجاهها الوسطي الانتهازي ، وقد انعكست هذه الاوضاع على وطننا العربي انعكاسا كان من العوامل التي ادت الى التصادم بين الحركة الشيوعية والحركة القومية العربية التي اصبحت قائدة للثورة الوطنية الديمقراطية في بلداننا .

اذن ، فان حركة الحياد هي حركة برجوازية صغيرة وسطية انتهازية ، انبعثت بعد الحرب العالمية الثانية في مرحلة بدأت معها البرجوازية الصغيرة تصعد سلم النضال باعتبارها احدى طبقات الثورة ! ولكنها بدلا من ان تحرص على التحالف مع العمال وتبقى ملتزمة بخط الثورة ، بدلا من ذلك وجدت الفرصة سانحة لها لان تستأثر بحصيلة كفاح الجماهير استئثارا جعلها تنفرد بالسلطة وتضطهد حلفائها وتنعزل حتى عن قاعدتها الكادحة ، انعزالا فصل الفئات الحاكمة عن جماهير الفلاحين في الريف والبرجوازية الكادحة في المدن ودفعها للاندماج مع بقايا الطبقات الرجعية والارباح باحضان الامبريالية وان كانت اشكال هذا الاندماج والارباح تتفاوت من بلد الى اخر ، مما عرقل مسيرة الثورة وعطل اطرادها .

ولكنها لا تتوفر في انظمة السادات او القذافي وفي لف لفهما . لماذا ؟

لان السماح لهذه الشروط بان تسود سيضعها على السلطة وهذا هو السبب الذي يجعل منهم رافضين للاشتراكية ومناهضين للشيوعية ومحاربين الى الامبريالية ومعتبرها الرجعية اي مخادعين !

ان كلمة حياد لا مضمون لها غير « الانتهازية » وليس هناك بلد محايد بالمعنى العلمي والموضوعي للكلمة . هناك موقف واحد فقط هو الانحياز للراسمالية او للاشتراكية ومهما حاول انطال الحياد ان يخفوا من هذه الحقيقة باضفاء صفة « الانجابية » على موقفهم منهم في نهاية المطاف مجبرين غير مخادعين ان يقفوا مخادعين الى احد المعسكرين !

مؤتمر الجزائر سلبيات وايجابيات

بعد كل ما تقدم لنعد للمؤتمر الرابع لحركة الحياد الذي انعقد في الجزائر ، ونرى هل انه بمستوى المهمة المركزية والشعار المركزي المتمثل في « التأييد المطلق اللامحدود للحركات التحررية والثورية في العالم ، والدعم المطلق واللامحدود ايضا لجميع النضالات الثورية التي تخوضها شعوب العالم ، ومن ضمنها شعبنا الفلسطيني وثورته المسلحة » ؟

في المؤتمر الثالث لحركة الحياد ، مثل النظام الرجعي في الاردن (الامير الحسن) وبعد عودته باشرت الرجعية جريمة ايلول واقامت المجازر دون ان تسمع بانسدا لامحدودا ولا دعوا مطلقا لا محدودا من قبل بلدان الحياد وانطاله وبعد مؤتمر الجزائر انعقدت قمة الاستسلام بين ابرز انطال الحياد مع نظام العملاء في الاردن ولم نسمع استنكارا مطلقا ولا دعوا مطلقا لا محدودا اما القرار الثوري الذي اتخذته كوبا فهو ليس انجازا من انجازات حركة الحياد ، بدليل ان اصواتا ارتفعت في قاعة المؤتمر تطالب بطرد كوبا لانها محتلة وشن القذافي حملته المعروفة على كاسترو بالذات !

واذن ، فان مسألة الدعم لحركات التحرر لا مطلقا ولا غير مطلق لا يمكن ان تكون حركة الحياد قادرة عليها ولذلك فهو مجرد دعوات قمتها اثرها محدودان جدا . ولكن المهمة التي يعرض ان يتداول المؤتمرون بصدد انجازها هي مهمة البناء الداخلي وحل المشكلات التي تعيق تطور بلدانهم . هذه هي المهمة التي يعرض بهذا العدد الكبير من رؤساء الدول والمسؤولين في بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية وبعض بلدان اوروبا ، يفترض ان تكون دافعة ومحركة البحث في ايجاد الحلول للمشكلات التي تعيق تقدم شعوب المجتمعين في مؤتمر عدم الانحياز . لقد ايد المؤتمر كلمة الافتتاح التي القاها بومدين وفيها تأكيد على ان المؤتمرين سيعملون على تحقيق هذه الغاية . واذا كان هذا هو الدافع لعقد هذا المؤتمر ، فان البحث عن الصعبات والعقبات التي تحول دون تقدم شعوب البلدان المتخلفة سيجد ان سيطرة الامبريالية على نفس البلدان ونفوذها التحكم في البعض الاخر هي العقبات الاساسية والاسباب الرئيسية المعيقة لتقدم شعوب البلدان المتخلفة التي تتعرض لاستغلال مركب تمارسه الامبرياليون ، الذين يقومون بنهب المواد الخام من بلدان القارات الثلاث لتعيدوا مواد مصنعة تباع باسعار مرتفعة . وامام هذا الوضع فان الحل الوحيد الذي تبغي اتباعه تتلخص في تحرير الموارد والمواد الخام من سيطرة الامبريالية من جهة وخلق اسواق لبلداننا بوجه البضاعة الامبريالية من جهة اخرى . وبهذه الطريقة يوجه ضربة عنيفة للامبريالية وتحمي ثرواتنا وتحرر اسواقنا من سيطرة الرأسمال العالمي وتحولها الى اسواق تبيع الحاجات الضرورية للاستهلاك الشعبي . ولكن اتباع هذا الاسلوب الناجع يفرض تصداعه الموجه الى البلدان الاشتراكية والتعاون معها من اجل تمكننا من استثمار مواردنا الخام وتصنيع لبلداننا لتصبح متقدمة ، ولكن المؤتمرين انحرفوا عن هذا السبيل السوي وتبنوا طريق الحياد اي الطريق الوسط ، الطريق الانتهازي ، وتجاهلوا البلدان الاشتراكية الصديقة والداعمة لحركات التحرر الوطني ، تصف البلدان الامبريالية واعتبروا الناقض الاساسي قائم بين البلدان المتقدمة والبلدان الفقيرة ، وبذلك وضعوا الضمن والاتحاد السوفياتي وبقية البلدان الاشتراكية باستثناء كوبا مع الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وكندا الغربية والمانيا وفرنسا وغيرها من البلدان الامبريالية . ومن الواضح تماما بان النظرة الى البلدان الاشتراكية من هذا المنطلق هي نظرة تنطوي على حس طبقي وسطي تعيس .

لا شك في ان البرجوازية الصغيرة ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الان قد استطاعت ان تقطع شوطا على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ، بعد انها عجزت عن مواصلة السير بالثورة الى نهايتها الحاسمة واتضح عجزها للجماهير الامر الذي يحمل من مؤتمر الجزائر محاولة لاثراء الاتجاه البرجوازي المتمثل في هذه البلدان ، لان الرجعيين الحاضرين في المؤتمر لا يستطيعون ان يرسموا اتجاها فاعلا ، كما ان الاشتراكيين اعمال كاسترو لا يستطيعون ان يرسموا اتجاها مقدما ايضا ، مما يتيح للوسطيين الممثلين ان يلعبوا الدور الاكبر في تقرير النتائج التي سيتوصل اليها المؤتمر وعلى هذا الاساس يمكننا ان نوجز اهم نتائج هذا المؤتمر بما يلي :

١ – الاساءة للبلدان الاشتراكية وتسويه سمعتها بوضعها مع البلدان الامبريالية في صف واحد واعتبارها بلدانا عدوة تستغل البلدان الفقيرة مثلها مثل البلدان الرأسمالية .

٢ – تبنوي المؤتمر على خدمة مصالح الامبريالية خاصة في الدعوة لاخراج الوجود السوفياتي من البحر الابيض المتوسط . ففي هذا الوقت الذي اصبح فيه الاسطول السوفياتي اكبر قوة مناوئة للاسطول السادس الاميركي وامام حالة العجز التي يعانيها اميركا واعتراف حلف الاطلسي بان قواته اضعف من القوات السوفياتية في هذا البحر تخرج انطال الحياد بالدعوة لاخراج الاساطيل الاجنبية ليوفروا للامبريالية تخصص نفقاتها وابعاد خطر الوجود الاسرائيلي عليهم .

٣ – اتاح المؤتمر فرصة للرجعيين العملاء في القارات الثلاث من ان يحتووا حقدهم وان يحلموا على طاولة واحدة مع الرؤساء الاشتراكيين امثال كاسترو . والغريب ان اعضاء المؤتمر ابدوا اعتراضا على مشاركة مالطة بحجة وجود القاعدة البريطانية فيه ولم يعترضوا على وجود السعودية رغم وجود القاعدة العسكرية الاميركية في الظهران .

٤ – ولكل ما تقدم فان الاتجاه الوسطي الخمسي سيكون هو الفائز الاكبر في هذا المؤتمر

٥ – ليس معنى كل ما تقدم ان اسس للمؤتمر بعض الانجازات فهو على الاقل مظاهرة ضد الامبريالية وان لم تكن لها نتائج هامة فهذه المظاهرة تكرر كل بضع سنوات كما مر معنا ولكن نتائجها محدودة بالقياس حتى لقراراتها هي . وبالنسبة للقضية العربية فان هذا الحشد من المسؤولين ساعد على التحريض ضد اسرائيل وضد اميركا مما يزيد من عزلة اسرائيل والتفاف على زعيمة الامبريالية . وقد اكد اكثر من خطيب في المؤتمر على عدم جدوى المؤتمر وعدم اهمية القرارات التي يتخذها لانها تبقى مجرد قرارات تعتقر الى التطبيق . واهل اهم القرارات الملموسة التي تحققت هو قرار كوبا بقطع علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل اما بقية القرارات فهي حبر على ورق ! ■■